

علامات قبول الحج

يحب الإنسان أن يكون حجه مقبولا وأن يكون مبرور، فلذلك علامات يعرفها من حقق النظر فيها، فإذا رجع الحاج من حجه وقد قبل حجه وقد أتمه؛ رأيته محافظا على العبادات، ورأيته يسابق إلى المساجد، ورأيته يتقرب إلى الله تعالى بنوافل العبادات؛ ورأيته يفعل الرواتب التي قبل الفرائض وبعدها، ويكثر من ذكر الله، يأتي بالأذكار التي بعد الصلوات تسيحا وتكبيرا وتحميذا، وما إلى ذلك. وهكذا أيضا رأيته يتقرب إلى الله بالصدقات، ويعمل فضائل الأعمال من الصلوات ونحوها، فيحاول أن يصلي في الليل تهجدا، ويحاول أن يصلي في وسط النهار الضحى صلاة تطوع، ويحاول أيضا أن يبكر إلى الجمعة والجماعات، ويحاول أن يتقرب إلى الله بالأعمال الخيرية التي يتأدب بها المسلم مع إخوانه المسلمين؛ فتراه مثلا يحب المسلمين لأجل أنهم مسلمون. إذا رجع وقد قبل حجه رأيته يبدأ إخوانه بالسلام، ورأيته يحرص على زيارات الصالحين، يتودد إليهم ويتقرب بذلك إلى الله تعالى، ويتقرب بمحبتهم، ورأيته أيضا يحب مجالس الذكر، ومجالس العلم؛ العلم النافع، ويتزود من المعلومات التي تقربه عند الله سبحانه تعالى. وكذلك أيضا يتقرب إلى الله تعالى بما يتعلق بحقوق إخوته؛ فيسلم على من لقيه، ويشمت من عطس، ويזור المرضى، ويتبع الجنائز، ويصلي على إخوته إذا مات أحد منهم من المسلمين ولم يكن يعلمهم. ويبذل النصيحة للعالم، يبذل النصيحة لإخوانه المسلمين. وكذلك أيضا يدعو إلى الله ويأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، ويبرأ بويه، ويصل ذوي أرحامه، ويحسن إلى جيرانه، وما أشبه ذلك من الأعمال الصالحة. هذه من آثار الحج المقبول، ومن العلامات التي تدل على أنه قد أثر فيه هذا العمل الصالح، يقول الله تعالى: { إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ } فإذا كانت الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فإن بقية الأعمال كذلك، ولكن الصلاة لا تنهى إلا من حققها وكملها وأخلص فيها، وكذلك الحج أيضا ينهى عن الفحشاء والمنكر، ينهى صاحبه المخلص فيه عن الأعمال السيئة. إذا رأيت من أخلص في حجه بعد رجوعه، رأيته يغيض بصره عن الحرام، ولا ينظر إلى ما يفتنه من الصور الفاتنة أو النساء المتبرجات، أو من الأفلام الخليعة أو ما أشبه ذلك، يحفظ بصره عما يفسد عليه قلبه؛ وذلك لأن البصر مرآة القلب. كذلك أيضا يحفظ سمعه؛ فلا يستمع إلى الكلام السيئ، لا يستمع الأغاني ولا يستمع الملاهي، ولا يستمع الغيبة والنميمة والسياب والهجاء وما أشبه ذلك، يصون سمعه؛ فيبتعد عن هؤلاء ونحوهم الذين يتعاطون مثل هذه الأعمال السيئة. وكذلك أيضا إذا رأيت الذي قبل حجه رأيته أيضا حافظا للسانه، يحفظ لسانه عن الغيبة والنميمة، وقول الزور وشهادة الزور والسياب واللعن والشتم والبهتان والكذب والآثام، والكلام السيئ كله، يحفظه عن أن يتكلم في أحد بسوء أو بهتان أو ما أشبه ذلك؛ فإذا لم ينته عن مثل ذلك فإنه يخاف أن حجه غير مبرور، وأنه لم يستفد من حجه إلا التعب، إلا السهر والنصب والخسران المبين. أما إذا رأيته وقد حفظ لسانه، وقد انشغل لسانه بما يحبه ربه من الأذكار والعبادات والطاعات فإنك تستدل بهذا على أنه من المقبولين إن شاء الله. وهكذا أيضا يحفظ بنية بدنه؛ فيحفظ يديه فلا يبطش بهما إلى ما حرمه الله، لا يمد يده إلا إلى ما فيه مصلحة أو ما أمر به، إلا ما كلف به، وكذلك أيضا لا يمشی بقدميه، أو يركب متوجها إلا إلى خير، فالذي مثلا تراه يمشي نحو مجالس اللهو والباطل، أو مجالس المعاصي والمحرمات وما أشبهها تقول: هذا لم يستفد من عمله، هذا ما أفاده حجه؛ يخاف أنه لم يتأدب بالآداب الشرعية التي رغب الله فيها والتي أحبها. كذلك أيضا تراه بعد هذا العمل الصالح؛ تراه بعده قد حفظ ماله، حرص على ألا يعمل عملا أو يكتسب كسبا محرما، أو كسبا فيه شبهة؛ بل تكون أعماله ومكاسبه خاصة للشرع لا يتعامل بمعاملة محرمة أو مكروهة أو فيها شيء من شبهة الحرام وما أشبهه؛ حتى يكون كسبه حلالا بعيدا عن المحرمات. نقول: إن هذه من آداب الحج، ولا شك أيضا أنها من آداب المسلم في حياته سواء حج أو لم يحج، سواء أن تيسر له الحج في هذا العام، أو قد حج في الأعوام الماضية، أو قد عزم على الحج في السنوات المستقبلية أو ما أشبه ذلك؛ فمن تأدب بها رجي بذلك قبول أعماله، ومن رفض أن يتأدب بها خشي عليه رد أعماله. وقد كان السلف -رحمهم الله تعالى- يهتمون بإتقان الأعمال وإكمالها، ثم بعد ذلك يدخل عليهم الهم، وأحاديث النفس أحدهم: هل قبلت منا أعمالنا؟ أو لم تقبل منا؟ هل أعمالنا مما قبلها الله وأتاب أو يثيب عليها؟ أم أنها مردودة؟ حتى كان بعضهم ينادى فيقول: ليت شعري من المقبول منا فنهيه؟ ومن المردود منا فنعزيه؟ أيها المقبول؛ هنيئا لك، أيها المردود جبر الله مصيبتك. ثم يستدلون على القبول بالأعمال الخيرية التي هي أثر من آثار الأعمال الصالحة، وعلى الرد وعدم القبول بالأعمال السيئة؛ فيقولون: من رجع من الحج وقد قبل حجه رأيناه تأتبا من الذنوب، ورأينا عليه آثار الطاعة؛ وذلك لأنه عاهد الله تعالى عهدا مؤكدة، من ذلك عهده بالتلبية؛ فإن التلبية هي إجابة الله تعالى. الحاج والمعتمر إذا قال: لبيك فإن هذا عهد؛ عهد بين العبد وبين ربه. لبيك يعنى أنا مقيم على طاعتك؛ فلا بد أن يكون صادقا في هذه المعاهدة فيبقى طوال حياته ملتزما بأمر الله تعالى، محافظا على طاعته؛ حتى يكون من المقبولين؛ وإنما يتقبل الله من المتقين. نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا في هذا العام، وفي كل عام للعمل الصالح الذي يحبه منا ويرضاه، وأن يتقبل منا صالح أعمالنا، وأن يرزقنا الإخلاص في الأقوال والأفعال، وأن يرزقنا حجا مبرورا وسعيا مشكورا وعملا صالحا مقبولا، وأن يعيذنا وإخواننا من الرياء والسمعة والأعمال السيئة، ومما يحبط الحسنات، ومما يوجب غضب الله تعالى وسخطه. كما نسأله أن ينصر دينه ويعلى كلمته، ويصلح أحوال المسلمين، ويصلح أئمة المسلمين وقادتهم، ويجعلهم هداة مهديين يقولون بالحق الله وبه يعدلون، والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.